الإمام البخاري وأثره في السنة

دكتور / محمـود عمـر هاشم

نســـبه :

هو أمــير المؤمنين فى الحديث الامــام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزيه (١) كان جده بردزيه مجوسيا على دين قومه ثم اسلم ولده المغيرة على يد اليمان الجحفى والى بخارى فى هذا الوقت فنسب اليه ولاء فمن ثم قيل فى نسبه « الجحفى » .

وأما جده ابراهيم فلم نقف على شىء من أخباره ، وأما والده اسماعيل فكان عالما جليلا سمع من حماد بن زيد ، والامام مالك ، وروى عنه العراقيون ذكر له ابن حيان ترجمة فى « كتاب الثقات » وترجم له ابنه أبو عبد الله الامام فى « التاريخ الكبير » وقد جمع والده الى العلم الورع والتقوى روى عنه أنه قال عند وفاته : « لا أعلم فى مالى درهما من حرام ولا من شبهه » .

مولده ونشأته :

ولد الامام البخارى يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة من الهجرة ببلدة بخارى وقد مات أبوه وهو صغير فكفلته أمه ، وأحسنت تربيته وقد كان له من مال أبيه الذى تركه له ما أعانها على تنشئته نشأة كريمة صالحة ، وقد لاحظته العناية الالهية من صغره ، فقد روى أنه أصيب فى عينيه وهو صغير فحزنت أمه لذلك حزنا شديدا ولجأت الى ربها بالدعاء ، فرأت فى المنام الخليل ابراهيم عليه السلام يقول لهــا :

يا هذه قد رد الله على ولدك بصره بكثرة دعائك ، فأصبح وقد رد الله عليه نور عينيه فتبدل حزنها سرورا .

سيرته وزهده وعلمه :

قال وراقه : سمعت محمد بن خراش يقول : سمعت أحيد بن حفص يقول :

---

(١) بردزيه بفتح الباء وسكون الراء ، وكسر الدال بعدها زاى ساكنة قيل معناه بالفارسية « الزراع » مقدمة فتح البارى جـ ٢ / ١٩٣

دخلت على اسماعيل والد أبى عبد الله عند موته فقال : لا أعلم من مالى درهما من حرام ولا درهما من شبهة قلت : وحكى وراقه أنه ورث من أبيه مالا جليلا وكان يعطيه مضاربة فقطع له غريم خمسة وعشرين ألفا فقيل له استعن بكتاب الوالى فقال : ان أخذت منهم كتابا طمعوا ولن أبيع دينى بدنياى ثم صالح غريمه على أن يعطيه كل شهر عشرة دراهم ذلك المال كله وقال : سمعته يقول ما توليت شراء شيء قط ولا بيعه كنت آخر انسانا فيشترى لى قيل له : ولم قال لما فيه من الزيادة والنقصان والتخليط .

وقال وراق كان البخارى يركب الى الرمى كثيرا فما أعلم أنى رأيته فى طول ما صحبته أخطأ سهمه الهدف الا مرتين بل كان يصيب فى كل ذلك ولا يسبق قال وسمعته يقول دعوت ربى مرتين فاستجاب لى يعنى فى الحال فلن أحب أن أدعو بعد فلعله ينقص حسناتى ، قال : وسمعته يقول لا يكون لى خصم فى الآخرة فقلت : ان بعض الناس ينقمون عليك التاريخ يقولون فيه اغتياب الناس ، فقال : انما روينا ذلك روايةولم نقله من عند انفسنا وقد قال النبى ﷺ بئس أخو العشيرة ، قال : وسمعته يقول : فى كلامه ما اغتبت أحدا قط منذ علمت أن الغيبة حرام ، وللبخارى فى كلامه على الرجال توق زائد وتحر بليغ يظهر لمن تأمل كلامه فى الجرح والتعديل فان أكثر ما يقول سكتواعنه فيه نظر تركوه ونحو هذا وقل ان يقول كذاب أو وضاع وانما يقول كذبه فلان رماه فلان يعنى بالكذب وكان البخارى فى حفظه ، وذكائه ، وعلمه بالرجال ، وعلل الحديث آية من آيات الله فى الأرض ، وقد حفظ الله سبحانه به وبأمثاله من أئمة الحديث الجامعين له سنة نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه .

وقد روى عنه أنه قال : أحفظ مائة ألف حديث صحيح ، ومائتى ألف حديث غير صحيح .

وليس أدل على حفظه وسعة اطلاعه وتوقد ذهنه مما حدث له لما قدم بغداد ، فقد اجتمع عليه علماء بغداد ، وأرادوا امتحانه فعمدوا الى مائة

حديث فقبلوا متونها وأسانيدها يعنى جعلوا متن هذا الأسناد ذاك واسناد هذا المتن ذاك ـ ثم أعطوا كل واحد منهم عشرة أحاديث منها ، فالقى عليه الأول العشرة التى عنده ، فكان كلما ذكر حديثا قال له البخارى : لا أعرفه . وهكذا حتى انتهى العشرة من سرد ما عندهم فصار الجهلاء من الحاضرين يحكمون على البخارى فى أنفسهم بالعجز والتقصير ، وأما العلمـاء منهم فيقولون : فهم الرجل ، ثم التفت البخارى الى الأول فقال له : أما حديثك الأول فصحته كذا ، وأما حديثك الثانى فصحته كذا ، حتى انتهى من ذكر أحاديثه يذكر الحديث المقلوب ، ثم يذكر صحته ، فلم يجد علماء بغداد بدآ من الاعتراف له بالحفظ والامامة .

وعلق بعض الحاضرين لهذا الامتحان القاسى فقال : ليس العجب من ادراكه الصواب ولكن العجب كل العجب سرده للأحاديث على الترتيب الذى سمعه من الممتحنين من مرة واحدة .

وكان البخارى يقول : لا أجىء بحديث عن الصحابة والتابعين الا عرفت مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم ، ولست أروى من حديث الصحابة والتابعين يعنى من الموقوفات الا وله أصل أحفظ ذلك عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

ثناء الأئمة عليه وتعظيمهم له :

فأولهم مشايخه قال سليمان بن حرب ونظر اليه يوما فقال هذا يكون له صيت ، وكذا قال أحمد بن حفص نحوه وقال البخارى كنت اذا دخلت على سليمان بن حرب يقول : بين لنا غلط شعبه ، وقال محمد بن أبى حاتم : سمعت البخارى يقول : كان اسماعيل بن أبى أويس اذا انتخبت من كتابه نسخ تلك الأحاديث لنفسه وقال : هذه الأحاديث انتخبها محمد بن اسماعيل من حديثى ، وقال حاشد بن اسماعيل ، وقال لى أبو مصعب أحمد بن أبى بكر الزهرى : محمد بن اسماعيل أفقه عندنا وأبصر بالحديث من أحمد بن حنبل ، فقال له رجل من جلسائه جاوزت الحد فقال له أبو مصعب لو أدركت

مالكا ونظرت الى وجهه ووجه محمد بن اسماعيل لقلت كلاهما واحد فى الحديث والفقه . وقال عبدان بن عثمان المروزى ما رأيت بعينى شابا أبصر من هذا وأشار الى محمد بن اسماعيل وقال محمد بن قتيبه البخارى كنت عند أبى عاصم البتيل فرأيت عنده غلاما فقلت له من أين قال من بخارى قلت : ابن من قال : ابن اسماعيل فقلت : أنت من قرابتى فقال : لى رجل بحضرة أبى عاصم هذا الغلام يناطح الكباش يعنى يقاوم الشيوخ ، وقال قتيبة بن سعيد جالت الفقهاء والزهاد والعباد فما رأيت منذ عقلت مثل محمد بن اسماعيل وهو فى زمانه كعمر فى الصحابة وعن قتيبة أيضا قال :

لو كان محمد بن اسماعيل فى الصحابة لكان آية ، وقال محمد بن يوسف الهمدانى كنا عند قتيبه فجاء رجل شعرانى يقال له أبو يعقوب فسأله عن محمد بن اسماعيل فقال : يا هؤلاء نظرت فى الحديث ونظرت فى الرأى وجالست الفقهاء والزهاد والعباد فما رأيت منذ عقلت مثل محمد بن اسماعيل قال : وسئل قتيبه عن طلاق السكران فدخل محمد بن اسماعيل فقال قتيبه للسائل هذا أحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وعلى بن المدينى قد ساقهم الله اليك وأشار الى البخارى ، وقال أحمد بن حنبل ما أخرجت خراسان مثل محمد بن اسماعيل ، وقال الفربرى سمعت محمد بن بشار : قدم اليوم سيد الفقهاء ، وقال أبو عمرو الكرمانى سمعت عمرو بن على الفلاس يقول صديقى أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى ليس بخراسان مثله .

وقال رجاء بن رجاء الحافظ فضل محمد بن اسماعيل على العلماء كفضل الرجال على النساء ، وقال أيضا هو آية من آيات الله تمشى على ظهر الأرض ، وقال الحسن بن حريث لا أعلم انى رأيت مثل محمد بن اسماعيل كأنه لم يخلق الا للحديث ، وقال أحمد بن الضوء سمعت أبا بكر بن أبى شيبة ومحمد بن عبدالله بن نميريقولان ما رأينا مثل محمد بن اسماعيل وكان أبوبكر ابن أبى شيبة يسميه البازل يعنى الكامل ، وقال أبو عيسى الترمذى كان محمد بن اسماعيل عند عبد الله بن منير فقال له لما قام : يا أبا عبد الله جعلك الله زين هذه الأمة قال أبوعيسى فاستجاب الله تعالى فيه ، وقال أبو حاتم الرازي لم تخرج خراسان قط أحفظ من محمد بن اسماعيل ولا قدم منها الى

العراق أعلم منه ، وقال عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى قد رأيت العلماء بالحرمين والحجاز والشام والعراق فما رأيت منهم أجمع من محمد بن اسماعيل ، وقال أيضا هو أعلمنا وأفقهنا وأكثرنا طلبا ، وقال أبو الطيب حاتم بن منصور : كان محمد بن اسماعيل آية من آيات الله فى بصره ونفاذه فى العلم ، وقال أبو سهل محمود بن النضر الفقيه : دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة ورأيت علماءها فكلما جرى ذكر محمد بن اسماعيل فضلوه على أنفسهم ، وقال أبو سهل أيضا سمعت أكثر من ثلاثين عالما من علماء مصر يقولون حاجتنا فى الدنيا النظر الى محمد بن اسماعيل ، وقال امام الأئمة أبو بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث من محمد بن اسماعيل وقال أبو عيسى الترمذى لم أر أعلم بالعلل والأسانيد من محمد بن اسماعيل البخارى ، وقال أبو أحمد بن عدى كان يحى بن محمد ابن صاعد اذا ذكر البخارى قال ذاك الكبش النطاح ، وقال أبو عمر والخفاف حدثنا التقى النقى العالم الذى لم أر مثله محمد بن اسماعيل قال هو أعلم بالحديث من أحمد واسحاق وغيرهما بعشرين درجة ومن قال فيه شيئا فعليه منى ألف لعنة . وقال أيضا لو دخل من هذا الباب وأنا أحدث لملئت منه رعبا وقال عبد الله بن حماد الابلى لوددت أنى كنت شعرة فى جسد محمد بن اسماعيل وقال سليم بن مجاهد ما رأيت منذ ستين سنة أحدا أفقه ولا أروع من محمد بن اسماعيل ، وقال عبد الله بن محمد بن سعيد بن جعفر سمعت العلماء بمصر يقول ما فى الدنيا مثل محمد بن اسماعيل فى المعرفة والصلاح . ثم قال عبد الله وأنا أقول قولهم .

صفاته الخلقية والخلقية :

كان البخارى رجلا نحيف الجسم ، بين الطويل والقصير ، يميل الى السمرة ، متقللا من المآكل جدا ، وكان غاية فى الحياء والكرم والسخاء والزهد فى الدنيا ، والرغبة فى الآخرة ، وكان له مال كثير ينفق منه سرا وجهرا ولا سيما فى طلب العلم ، وعلى طلبته ، فقد كان يجزل لهم العطاء روى عنه أنه قال : كنت استغل كل شهر خمسمائة درهم فأنفقها فى الطلب ، وما عند الله خير وأبقى .

وكان فى غاية العفة فى القول ، وتحرى الحق فى نقد الرجال وقد يقول فى الرجل الذى يعرف كذبه (فيه نظر) ٠ (تركوه) (سكتوا عنه) ٠

وأصرح ما قاله فى رجل (منكر الحديث) ٠

ومع عفته فى النقد كان يترك أحاديث الرجل لمجرد الشك فيه روى عنه أنه قال : « تركت عشرة آلاف حديث لرجل فيه نظر وتركت مثلها أو اكثر منها لغيره لى فيه نظر » ٠

والامام البخارى مثل يحتذى فى النقد العف النزيه ، فما أجدر النقاد بالاقتداء به ٠

مؤلفـــــــاته :

للامام البخارى مؤلفات كثيرة أشهرها :

١ ـ الجامـــع الصحيـــح ٠
٢ ـ الأدب المفـــــرد ٠
٣ ـ التـــاريخ الصغـــير ٠
٤ ـ التـــاريخ الأوســـط ٠
٥ ـ التـــاريخ الكبـــير ٠
٦ ـ التفســـــير الكبـــير ٠
٧ ـ المسنـــــد الكبـــير ٠
٨ ـ كتـــاب العـــلل ٠
٩ ـ رفـــع اليدين فى الصـــلاة ٠
١٠ ـ بر الوالـــدين ٠
١١ ـ كتـــاب الاشـــربة ٠
١٢ ـ القراءة خلف الامام ٠
١٣ ـ كتـــاب الضعفـــاء ٠
١٤ ـ أســـامى الصـــاحبة ٠
١٥ ـ كتـــاب الســـكنى ٠

وهذه الكتب منها ما هو موجود مطبوعا أو مخطوطا ومنها ما عرف بذكر بعض الأئمة له ونقلهم عنه ، وأهم هذه المؤلفات ـ الجامع الصحيح . وسنفيض القول فيه .

« الجـــامع الصحيـــح »

كان الأئمة قبل البخارى لا يقصرون مؤلفاتهم على الأحاديث الصحيحة بل كانوا يجمعون بين الصحيح والحسن والضعيف ، تاركين التمييز بينها الى معرفة القارئين والطالبين بنقد الأحاديث والتمييز بين المقبول والمردود الى أن جاء البخارى فرأى أن يخص الصحيح بالتاليف ، فالف كتابه الصحيح وسماه « الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه وبذلك يكون الامام البخارى قد خطا بالتاليف فى الحديث خطوة موفقة يسرت معرفة الحديث والاحتجاج به على الطالبين ، ولا سيما المتاخرين .

الحامل له على تاليف الصحيح :

وقد وجهه الى هذا العمل الجليل كلمة سمعها من أستاذه اسحاق بن راهويه ، روى عن البخارى أنه قال : كنت عند اسحاق بن راهويه فقال : لو جمعتم كتابـا مختصراً لصحيح سنة رسول الله ﷺ قال : فوقـع فى قلبى فأخذت فى جمع الجامع الصحيح وقد قوى عنده العزم رؤيا رآها فقد روى عنه أنه قال : رأيت النبى ﷺ وكأنى واقف بين يديه ، وبيدى مروحة أذب بها عنه ، فسألت بعض المعبرين فقال لى : أنت تذب الكذب عن حديث رسول الله ﷺ ، فهو الذى حملنى على اخراج الجامع الصحيح .

منهج البخارى فى جمع الصحيح :

لقد نهج البخارى فى جمع صحيحه منهجا يدعو الى الثقة والاطمئنان الى صحة أحاديثه ، وقد بالغ فى التحرى عن الرواة ، والتوثق من صحة المرويات ، وبذل فى هذا أقصى ما وصل اليه الجهد الانسانى ، وما زال يوازن بين المرويات ، ويمحصها ، ويتخذ منها ما تركن اليه نفسه حتى صار كتابه الى الحالة التى هو عليها تحريرا وتنقيحا ، يدل على ذلك ما روى عنه أنه قال : صنفت هذا الجامع من ستمائة ألف حديث فى ست عشرة سنة .

ومع أن البخارى اتبع فى جمع صحيحه قواعد البحث العلمى الصحيح فقد استلهم الجانب الروحى من نفسه ، قال تلميذه الفربرى سمعت محمد ابن اسماعيل البخارى يقول : « صنفت كتاب الجامع فى المسجد الحرام ، وما أدخلت فيه حديثا الا استخرت الله ، وصليت ركعتين ، وتبينت صحته »

ومراده أنه بوب أبوابه ، ووضع أساسه فى المسجد الحرام ، ثم بيض تراجمه ، وأصوله فى الروضة (١) بين قبر النبى ﷺ ومنبره ، ثم صار يجمع ما تيسر له من الأحاديث ، ويضعها فى أبوابها اللائقة بها فى الحرمين وغيرهما من البلاد التى ارتحل اليها ، وقد مكث فى تأليف صحيحه ست عشرة سنة وهو يحرر ويدقق ، وينتقى ويخير ما هو على شرطه حتى جاء كتابه على ما أحب ، ويحبه طلاب الحقيقة ، ورواد البحث .

وبذلك اجتمع لهذا الكتاب الصحيح من دواعى التوفيق الى الحق والصواب ما لم يجتمع لغيره ، فلا عجب ان كانت له منزلة سامية فى نفوس العلماء ، وان تلقته الأمة الاسلامية بالقبول والاطمئنان الى ما فيه ، وان استحق أن يطلق عليه : « أنه أصح الكتب المدونة فى الحديث النبوى » .

وللامام البخارى فى تعديل الرجال وتجريحهم ، ونقد المتون ، ونقد الرواية شروط عالية دقيقة ، وملكة عجيبة اكتسبها من طول ما بحث ، ونقد ومن طول ما عرض له من علل الأسانيد والمتون وذلك كالنطاسى البارع الذى يحصل له من طول ملازمته لمهنة الطب وكثرة ما عرض عليه من الأمراض نوع من العلم ، قد يصل الى حد الالهام ، بالعلل والأمراض ، والوقوف على حقيقتها ومكامنها مهما كانت خفية ، أو كانت عوارضها غير واضحة .

التزم الامام البخارى فى صحيحه أعلى درجات الصحة ، ولا ينزل عن هذه الدرجة الا فى بعض الأحاديث التى ليست من أصل موضوع الكتاب كالمتابعات والشواهد ، والأحاديث المروية عن الصحابة والتابعين .

---

(١) فى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم فى صحيحه ، ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة .

وليس من شك فى أن الرواه يتفاوتون فى الأخذ عن شيوخهم اتقانا وضبطا وطول ملازمـه ومصاحبة وقلة ذلك ، كما يتفاوتون فى العدالة والأمانة ، والبخارى فى صحيحه انما يعتمد من الرواه من كانوا فى أعلى الدرجات من هذه الصفات وسأوضح ذلك بمثال : ذلك أن تلامذة الامام الزهرىمثلا على خمس طبقات ودرجات ولكل طبقة مزية على التى تليها .

الطبقة الأولى : هم الذين امتازوا بالعدالة والحفظ والاتقان والأمانة ، وطول الملازمة للزهرى فى السفر والحضر .

مثل مالك وسفيان بن عينية ورجال هذه الطبقة هم مقصد البخارى فى صحيحه .

الطبقة الثانية : (١) وهم الذين شاركوا الأولى فى التثبت والأمانة الا أن رجال الأولى امتازوا بطول المصاحبة للزهرى سفرا وحضرا ، أما رجال الثانية فلم يلازموا الزهرى الا مدة يسيره فكانوا فى الاتقان والمعرفة بحديثه دون الأولى ، وذلك مثل : الاوزاعى والليث بن سعد ورجال هذه الدرجة الثانية يعتمد روايتهم الامام مسلم أما البخارى فلا يخرج من أحاديثه الا قليلا فى غير أصول الكتاب .

الطبقة الثالثة : وهم من دون الثانية مثل : جعفر بن برقان وزمعة بن صالح فلا يخرج لهم البخارى أصلا ، وقد يخرج لهم من المتابعات والشواهد .

أما رجال الطبقة الرابعة والخامسة وهم المجرحون والضعفاء فلا يخرج لهم البخارى ومسلم .

البخارى حافظ وفقيه مجتهد :

لم يخل كتاب البخارى من الفوائد الفقهية والأحكام والآداب فاستخرج بفهمه من المتون معانى كثيرة فرقها فى أبواب كتابه ، كما اعتنى فيه بذكر

---

(١) الطبقة ة هم الرواه الذين تقاربوا فى السن ولقاء الشيوخ .

بعض الآيات القرآنية التى لها صلة فقهية أو لغويةبالموضوع الذى يترجم له ، وما ورد عن السلف فى تفسير الآيات ، ويتجلى فقه البخارى فى ايراده لبعض المسائل لا على سبيل القطع اذا كان فى المسألة اختلاف ولم يترجح أحد الآراء عنده كقوله : يا رب هل يكون كذا ؟ أو من قال كذا ؟ وفى ايراده لأقوال بعض الصحابة أو التابعين التى تشهد لرأى ، أو ترجح رأيا على رأى ، وفى تعلقاته الدقيقة التى يتبع الأحاديث بها فيقول : قال أبو عبد الله ـ يريد نفسه كذا وكذا ، وأكثر ما يتجلى فقهه فى التراجم ولذلك قيل : « فقه البخارى فى تراجمه » .

وقد ذكروا أن البخارى كان شافعيا ، وقد عده الامام السبكى فى « طبقات الشافعية » .

والذى يترجح عندى أنه كان فقيها مستقلا بالاجتهاد ولم يكن مقلدا وله استنباطات تفرد بها ، وآراؤه أحيانا توافق مذهب أبى حنيفة وأحيانا مذهب الشافعى ، وأحيانا تخالفهما ، وتارة يختار مذهب ابن عباس ، وتارة أخرى مذهب مجاهد وعطاء الى غير ذلك .

طريقة البخارى فى تنظيم كتابه :

قسم البخارى كتابه الى كتب ، والكتب الى أبواب بداه ببدأ الوحى ، لأنه الأساس لكل الشرائع ثم ذكر كتاب الايمان ثم العلم ، ثم الطهارة ، ثم كتاب الصلاة ، ثم كتاب الزكاة وأختلفت النسخ فى الصوم والحج أيهما قبل الآخر ؟ ثم كتاب البيوع ، وبعد أن انتهى من المعاملات ذكر المرافعات ، فذكر كتاب الشهادات ، ثم كتاب الصلح ، ثم كتاب الوصية والوقف ، ثم كتاب الجهاد ، ثم عرض لأبواب غير فقهية مثل بدء الخلق وتراجم الأنبياء والجنة والنار ، ثم مناقب قريش ، وفضائل الصحابة .

ثم ذكر السيرة النبوية والمغازى وما اليها ، ثم كتاب التفسير ، ثم عاد الى الفقه من نكاح وطلاق ونفقات ، ثم كتاب الأطعمة ثم كتاب الأشربة ،

ثم كتاب الطب ثم كتاب الأدب والبر والصلة ، والاستئذان ، ثم كتاب النذور والكفارات ، ثم كتاب الحدود والاكراه ، ثم كتاب تغيير الرؤيا ، ثم كتاب الفتن وكتاب الأحكام ، وذكر فيه الأمراء والقضاة ، ثم كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ثم كتاب التوحيد وبذلك تم الكتاب .

وعدة كتبه (٩٧)كتابا .

وعدة أبوابه (٣٤٥٠) بابا .

ومما ينبغى أن يعلم أن النسخ كما اختلفت فى تقديم بعض الكتب والأبواب على بعض ، اختلفت فى اعتبار بعض الكتب أبوابا وبعض الأبواب كتبا كما يعلم ذلك من مراجعة متن البخارى المطبوع وكتب الشروح له .

وفى بعض أبوابه توجد الأحاديث الكثيرة وفى بعضها ما فيه حديث واحد وفى بعضها ما فيه آية من كتاب الله وبعضها لا شىء فيه ، وكان لم يجد فى هذا الباب الذى ترجم له حديثا على شروطه ، تركه هكذا عسى أن يتيسر له حديث فيما بعد .

تكراره لبعض الأحاديث أو تجزئته لها ، أو اختصارها :

لقد جرى الامام البخارى فى صحيحه على تكراره لبعض الأحاديث أو تجزئته لها ، أو اختصارها فى الأبواب المختلفة وذلك بحسب ما يستخرج منها من الأحكام ، وبحسب ما يقتضيه المقام ، والبخارى لا يفعل ذلك غالبا الا لفوائد تعود اما الى سند الحديث متنه ، وقلما يورد حديثا واحدا باسناد واحد ولفظ واحد فى موضعين الا نادرا جدا .

ومن الفوائد التى يقصدها بعمله هذا تكثير طرق الحديث أو التنبيه على اختلاف بعض الألفاظ أو أن يكون بعض الرواه قد روى بالعنعنه (١)

---

(١) العنعنه : هى الرواية بلفظ « عن فلان » والعنعنه تفيد الاتصال عند البخارى بشرطين (أ) معاصرة الراوى لمن روى عنه (ب) أن يثبت لقيهما وأما مسلم فيكتفى فى العنعنة بالمعاصرة فقط .

وقـد ثبت عنده فى رواية أخرى التصريح بالسماع بدل لفظ « عن » فـيورده لذلك غير ذلك من الاعتبارات الدقيقة التى تظهر جلية لمن يدرس الكتاب دراسة واعية دقيقة .

الأحاديث المعلقة فى صحيح البخارى :

المراد بالتعليق ـ فى اصطلاح المحدثين أن يحذف من مبتدأ اسناداً لحديث واحد أو أكثر وذلك مثل قول البخارى مثلا : قال مالك عن نافع عن ابن عمر كذا أو قال مجاهد عن ابن عباس عن النبى ﷺ كذا أو قال الزهرى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة عن النبى ﷺ كذا ، فكل ذلك معلق ، لأن بين البخارى وبين مالك ، ومجاهد والزهرى بعض رواه غير مذكورين وتعليقات البخارى منها ما هو مرفوع ، ومنها ما هو موقوف ومنها ما هو بصيغة الجزم : كقال ، وروى ، وذكر مثلا ، ومنها ما هو بصيغة التضعيف : كقيل ، وروى ويذكر .

وتعليقات البخارى منها ما هو صحيح ومنها ما ليس بصحيح ومنها ما هو على شرطه فى الصحة ، ومنها ما ليس كذلك ولا يقال كيف يورد البخارى فى كتابه ما ليس بصحيح ، لأن الأحاديث المعلقـة ليست من أصل الكتاب وموضوعه وانما هى تذكر للاستشهاد على معنى أو قول أو للترجيح أو لغير ذلك من الأغراض .

وللبخارى فى صحيحه أحاديث علا فيها حتى صار بينه وبين النبى ﷺ ثلاثة رواه ، وهى المعروفة بالثلاثيات ، وعدتها اثنان وعشرون حديثا وقد أفردها بعض العلماء بالتاليف كالعلامة الشيخ على القارى الحنفى .

ومن أمثلة هذه الثلاثيات ما ذكره فى « كتاب العلم ـ باب اثم من كذب على النبى ﷺ » .

قال البخارى : حدثنا مكى بن ابراهيم (قال) حدثنا يزيد بن أبى عبيد عن سلمة ـ يعنى ابن الأكوع .

قال : سمعت رسول الله ﷺ : « من يقل على ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار » .

الأحاديث المنتقدة على البخارى :

قد انتقد بعض الحفاظ كالدارقطنى على البخارى أحاديث ذكرها فى صحيحه وليست على المستوى والدرجة العالية التى التزمها فى صحيحه وليس معنى هذا أن هذه الأحاديث ضعيفة ضعفا يصل بها الى حد أنها موضوعة أو منكره فما قال هذا أحد قط من أئمة النقد الموثوق بهم والذين يرجع اليهم فى التعديل والتجريح ونقد الرجال ، والبعد بالمتون على توالى العصور والأجيال وكل ما هنالك أنها ليست فى مستوى معظم أحاديث الكتاب .

وعدة الأحاديث المسندة التى انتقدت على البخارى مائة وعشرة أحاديث منها ما وافقه الامام مسلم على تخريجه فى صحيحه وهو اثنان وثلاثون حديثا ومنها ما انفرد به البخارى ، وهو ثمانية وسبعون حديثا .

وقد أجاب الحافظ الكبير ابن حجر فى مقدمة شرحه الجليل المسماه « هدى السارى » عن هذه الأحاديث بجواب اجمالى ، ثم بجواب تفصيلى فقد عرض لها حديثاً حديثا ، ذاكرا نقد الناقد ، ثم يعقب النقد بالرد (١) وهو يعطينا صورة شريفة من صور النقد العفيف والرد النزيه الصحيح .

ثم قال هذا العالم المحقق الكبير بعد المطاف الطويل :

« هذا جميع ما تعقبه الحفاظ النقاد العارفون بعلل الأسانيد المطلعون على خفايا الطرق وليست كلها من أفراد البخارى بل شاركه مسلم فى كثير منها » .

وعدة ذلك اثنان وثلاثون حديثا فأفراده منها ثمانية وسبعون فقط ، وليست كلها قادحه بل أكثرها الجواب عنها ظاهر ، والقدح فيها مندفع وبعضها الجواب عنه محتمل واليسير منه فى الجواب عنه تعسف ، كما شرحته مجملا فى أول الفصل ، ووضحته مبينا أثر كل حديث منها .

---

(١) مقدمة فتح البارى جـ ٢ من ص ٨٣ ـ ١١٠

عدد أحاديث الجامع الصحيح

ذكر العلامة ابن الصلاح فى مقدمته أن عدد أحاديث صحيح البخارى سبعة آلاف ومئتان وخمسة وسبعون حديثا بالمكرر وبغير المكرر أربعة آلاف حديث وتبعه العلامة الشيخ محى الدين النووى فى كتابه « التقريب » .

وقد تكفل بعد صحيح البخارى عدا دقيقا الحافظ بن حجر وقد ساعده على تحرير العدد أنه شرح صحيح البخارى وفى آخر كل كتاب يذكر عدد الأحاديث الموصولة المرفوعة والمعلقة والمتابعات وأقوال الصحابة والتابعين فمن ثم كان عده أدق وأشد تحريرا من عد غيره .

والذى ذكره الحافظ بن حجر فى مقدمة الفتح : أن جميع ما فى صحيح البخارى من الأحاديث الموصولة بلا تكرير (٢٦٠٢) حديثا .

ومن المتون المعلقة المرفوعة التى لم يوصلها فى موضع آخر الصحيح (١٥٩) حديثا . وأن جميع أحاديثه بالمكرر (٧٣٩٧) حديثا .

وأن جملة ما فى الكتاب من التعاليق (١٣٤١) .

وجملة ما فيه من المتابعات (٣٤٤) حديثا .

فجميع ما فى الكتاب على هذا بالمكرر (٩٠٨٢) حديثا .

وهذه العدة عدا ما فى الكتاب من الموقوفات على الصحابة والمرويات عن التابعين فمن بعدهم .

قال الحافظ بن حجر : « وهـذا الذى حررته من عدة ما فى صحيح البخارى تحريرا بالغ فتح الله به لا أعلم من تقدمنى اليه وأنا مقر بعدم العصمة من السهو والخطأ . والله المستعان » .

شروح الجامع الصحيح للبخارى :

لم يحظ من كتب الحديث بعناية الأمة الاسلامية مثل ما حظى بذلك « الجامع الصحيح » للامام البخارى فقد اعتنى علماء الأمة به شرحا له واستنباطا للأحكام منه وتكلما على رجاله وتعاليقه وشرحا لغريبه وبيانا لمشكلات اعرابه الى غير ذلك .

وقد تكاثرت شروحه حتى قال صاحب « كشف الظنون » : أنها تنيف على اثنين وثمانين شرحا وذلك عدا ما ألف بعد عصر صاحب الكشف واليك أشهر شروحه :

١ ـ شرح العلامة شمس الدين محمد بن يوسف بن على الكرمانى المتوفى سنة (٧٨٦) هـ سماه : الكواكب الدرارى فى شرح صحيح البخارى شرح فيه الألفاظ من الناحية اللغوية ووجه الأعاريب النحوية الخفية وضبط الروايات وأسماء الرجال وألقاب الرواة والتمييز بينهم ووفق بين الأحاديث التى ظاهرها التعارض وفرغ منه بمكة سنة (٧٧٥) هـ .

قال الحافظ بن حجر فى « الدرر الكامنة » وهو شرح مفيد على أوهام فيه فى النقل لأنه لم يأخذه الا من الصحف .

٢ ـ شرح الامام الحافظ أبى الفضل أحمد بن على بن محمد بن محمد ابن حجر العسقلانى ثم المصرى ولد سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة وتوفى سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة سمى شرحه « فتح البارى بشرح صحيح البخارى » وهو أحسن الشروح وأوفاها .

وقد تعرض فيه لذكر اللغة والاعراب والفوائد الحديثية التى لا تجدها فى غيره والنكت البلاغية والأدبية والاستنباطات الفقهية وتحرير المسائل المختلف فيها بين علماء الأمة فى الفقه والكلام تحريرا دقيقا بالغا من غير تجيز ولا تحيف وقد امتاز بجمع طرق الأحاديث واستقراء الوارد منها فى الباب وبيان منزلتها من الصحة أو الضعف مما يدل على سعة حفظه وتبحره فى الاحاطة بكتب الحديث .

ولفتح البارى مقدمة تسمى « هدى السارى » لو كتبت بماء الذهب لكان قليلا عليها وهى تعتبر بمثابة مفتاح لصحيح البخارى وقد فرغ من تاليفها سنة « ٨١٣ » هـ .

ثم ابتدأ فى الشرح فكتب منه قطعة أطال فيها النفس ثم خشى أن يعوقه عن اتمامه على هذه الصفة عائق فشرع فى شرح متوسط وهو « فتح البارى »

وقد ابتدأ فى شرحه هذا سنة « ٨١٧ » هـ وأكمله سنة « ٨٤٢ » هـ فمكث فى تاليفه ربع قرن ، فلا عجب أن جاء هذا الشرح غاية فى التحرير والتجويد والاتقان ولقد كان الحافظ راضيا عن كتابة هذا كل الرضا .

ولما انتهى الحافظ من شرحه أو لم وليمة دعا اليها وجوه المسلمين وقد بلغ ما أنفقه فيها خمسمائة دينار وهى نحو « ٢٥٠ » جنيها مصريا ولا يزال الكتاب محل الحظوة من جميع العلماء قديما وحديثا وانه لمعتمد كل من يكتب فى الحديث .

ولما طلب من العلامة الشيخ محمد بن على الصنعانى الشوكانى المتوفى سنة ١٢٥٥ هـ صاحب « نيل الأوطار »أن يشرح صحيح البخارى التزم جادة الانصاف واعترف للحافظ بن حجر بالامامة والسبق فقال الحديث المشهور « لا هجرة بعد الفتح » يقصد التورية .

واذا كان العلامة ابن خلدون نقل فى مقدمته الشهيرة عن شيوخه انهم قالوا : ان شرح البخارى دين فى عنق هذه الأمة فذلك انما قالوه قطعا قبل أن يؤلف الحافظ شرحه وقد وفى الحافظ بن حجر هذا الدين بشرحه الجليل .

والشرح يقع فى ثلاثة عشر مجلدا كبيرا ومقدمته فى مجلد كبير وقد طبع مرارا فى الهند ومصر وأجود طبعاته طبعة بولاق القديمة .

٣ ـ شرح العلامة الشيخ بدر الدين محمود بن أحمد العينى الحنفى المولود سنة ٧٦٢ هـ والمتوفى سنة ٨٥٥ هـ وقد سمى شرحه « عمدة القارى »

وهو شرح وسيط عرض فيه لتزاحم الرواه وتباين الأنساب وبيان اللغات والاعراب والمعانى والبيان هذا الى مافيه من الاستنباطات الفقهية والآداب التى تؤخذ من الأحاديث وقد سلك فيه طريقة السؤال والجواب وهى طريقة حسنة مفيدة ومن حسناته أنه لا يميل فى شرح الأحاديث المكررة على مواضع أخرى ويذكر سياق الحديث بطوله عند الشرح كما يذكر من خرج الحديث من أصحاب الكتب المشهورة وقد بدأ فى تأليف شرحه سنة ٨٢١ هـ وفرغ منه عام ٨٤٧ هـ فيكون قد مكث فى تأليفه ربع قرن تقريبا وهو مطبوع بمصر وباستامبول .

٤ - شرح العلامة الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد الخطيب المصرى الشافعى المشهور بالقسطلانى المتوفى سنة ٩٢٢ هـ .

وهو شرح أوجز من سابقيه وكثيرا ما يعتمد فيه على كلام من سبقه ولا سيما صاحب الفتح وقد سماه « ارشاد السارى الى صحيح البخارى » ولم يتحاش من الاعادة عند الحاجة الى البيان ولا فى ضبط الواضح عند علماء هذا الشأن قصدا لنفع الخاصة والعامة وقد كتب له مقدمة فى منزلة الحديث النبوى من الدين وعناية الأمة به حفظا وجمعا وتدوينا وقد طبع مرارا .

مختصرات الجامع الصحيح :

للجامع الصحيح مختصرات عدة منها :

١ - مختصر العارف بالله الصوفى القدوة الشيخ أبو محمد عبد الله بن سعد بن أبى جمرة الأندلسى المتوفى سنة ٦٩٥ هـ وهو نحو ثلثمائة حديث وقد شرح مختصره هذا وسماه : بهجة النفوس وغايتها بمعرفة ما لها وما عليها وقد سلك فيه مسلك العناية بالمعانى دون الألفاظ وبالأخلاق والمواعظ أكثر من الأحكام وفيه من التحقيقات والتأويلات البارعة والفوائد البديعة مالا تعثر عليه فى غيره وقد ينقل منه الحافظ بن حجر فى شرحه المشهور السابق وقد طبع المختصر والشرح .

٢ ـ مختصر الشيخ الامام زين الدين أبى العباس أحمد بن عبداللطيف الشرجى الزبيدى المتوفى سنة ٨٩٣ هـ حذف منه ما تكرر وجمع فيه ما تفرق فى الأبواب وحذف الأسانيد مقتصرا على الصحابى وقد فرغ منه فى شعبان سنة ٨٨٩ هـ .

وقد شرح هذا المختصر شيخ الاسلام عبد الله الشرقاوى الأزهرى وقد اعتمد فى شرحه على كلام من تقدموه ولا سيما صاحب « فتح البارى » .

هذا وبالله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل